# المعاملة الوالدية وانحراف الأحداث

تاريخ الاستقبال: 2018/06/25
تاريخ القبـــول: 2018/06/26

أ/محمد زيان، جامعة قسنطينة 2

الملخص:

الأسرة وانحراف الأحداث موضوع شغل اهتمام الباحثين في العلوم الإنسانية وكذا المتدخلين في المجال الاجتماعي لسنوات طويلة.

ان هذا الاهتمام يفسر أساسا كون الاسرة تمثل العامل الرئيسى للتنشئة والتطبيع الاجتماعى في حياة الأفراد.

انها الجماعة الأوزلية وذلك لسنوات طويلة باعتبارها المؤسسة الا ساسية لاداء الوظيفة التربوية. انها الأسرة الحديثة يمثلها الأبوان.

وكثيرا مايتكرر انحراف الأحداث في أسر دون غيرها بسبب مجموعة من المتغيرات المرتبطة بـــ:

- محيط الأسرة.
- النسق الأسرى.
- الممارسة التربوية للأسرة ومعاملة الأحداث.

إن معاملة الوالدين للأحداث تتم خلال مراحل التنشئة الاجتماعية وترافق كل مراحل التنشئة الاجتماعية منذ الولادة.

**الكلمات المفتاحية**: المعاملة الوالدية – الانحراف – الأحداث.

**Résumé :**

Famille et déviance des mineurs est un thème qui a, de longue date, intéressé les spécialistes des sciences humaines et les travailleurs sociaux. Cet intérêt s'explique, essentiellement, par le fait que la famille constitue l'agent principal de socialisation dans la vie des individus. Elle est la première et, pendant plusieurs années, la seule institution à remplir cette fonction éducative  la famille moderne est représentée par les parents ( le père et la mère).

Et il est fréquent d'entendre que la déviance des enfants mineurs  s'introduit dans certaines familles plutôt que d'autres a cause des variations liées a :

- L'environnement de la famille.
- Le système familial.
- Les pratiques éducatives des parents et le traitement réservé aux enfants.

Le traitement des enfants accompagne toutes les étapes d'éducation et de socialisation exercés par les parents.

**Mots clés** : le traitement des parents - la déviance – les mineurs.

**مقدمة عامة :**

تعد الأسرة أول وأهم وسيط لعملية التنشئة الاجتماعية، فأسرة الطفل تحدد هويته الاجتماعية ومركزه الاجتماعي على أساس وضعها في المجتمع وبالتالي فإن الأسرة تحدد إلى درجة كبيرة إن كان الطفل سينمو نمواً نفسياً واجتماعياً سليماً أو غير سليم، فهي مسؤولة إلى حد كبير عن تحديد سمات شخصيته وسلوكه في المستقبل (حمزة، 1982: 215).

لأن الأسرة هى المؤسسة الأساسية في المجتمع باعتبارها النظام الأول والأقدم للمجتمعات الإنسانية وتتضمن كل المواصفات والوظائف( البيولوجية، الاقتصادية، الاجتماعية، النفسية والتربوية)،التي يحتاجها المجتمع ويمارسها اتجاه أفراده

و يتجسد دور الأسرة من خلال معاملة الوالدين للأبناء التى تبدأ بميلاد الطفل الى غاية بلوغه سن الرشد غير أن اثارها تبقى مستمرة فى شخصية الفرد طوال حياته. وتتحدد معالم المعاملة الوالدية عبر الآداءات الوظيفية للوالدين عموما وعبر الوظيفة التربوية التى تتم خلال التنشئة الاجتماعية للطفل، في سيرورة تواصلية متكاملة، على وجه الخصوص.

كل هاته الاعتبارات جعلت المختصين في علم النفس الاجتماعي يؤكدون على أن الأسرة جماعة أولية ومرجعية للأفراد:

- أولية لأنها المهد الأول للطفل كما أنه لا يمكن تصور ولادة طفل ونشأته خارج إطار أسرة مهما كانت. وتحتل الأسرة هذه المكانة المميزة بين مؤسسات التنشئة الاجتماعية ووكالاتها باعتبارها نموذجا ويقصد بها ش. كولى C.cooley جماعة صغيرة الحجم، والتى تتميز بعلاقات وثيقة ومباشرة وعميقة بين أفرادها. ولها أسبقية التأثير ولذا يكون دامغا وشاملا يمس كل جوانب شخصية الطفل عكس الجماعات الثانوية حيث يكون تأثيرها سطحى ومنصبا على جوانب معينة دون غيرها.

- ومرجعية باعتبارها تتابع الفرد شعوريا اوغير شعوريا فى كل كلمة ينطقها وكل سلوك يسلكه فى حياته وبعبارة أخرى نجدها فى كل مشاريع حياته حتى بعد وفاة والديه.(علاء الدين كفافى 1999).

- مرجعية لكل سلوكات الأفراد وعواطفهم وتفكيرهم، وبالتالي فان هذا النظام الأسرى يوثر في أفراده حتى و لم نكون ضمن إطار أسرة. ومن هنا يجب علينا الرجوع إلى النظام الأسرى لفهم وتفسير كل السلوكات التي تصدر عن الأفراد.

وذلك من خلال أنماط أو أساليب المعاملة التي يتبعها الوالدان في تربية أبنائهما في مراحل العمر المختلفة للأبناء من الطفولة للمراهقة وصولاً لمرحلة الشباب.

وهذه الأنماط أو الأساليب تتفاوت ما بين أساليب سلبية في المعاملة كالإسراف في التدليل أو القسوة الزائدة أو التذبذب في المعاملة أو فرض الحماية الزائدة على الأبناء وإخضاعهم للكثير من القيود أو عدم المساواة والعدالة في التعامل مع الأبناء والتمييز فيما بينهم بناء على الجنس أو الترتيب. وأنماط وأساليب إيجابية تتمثل في التعرف على قدرات الأبناء وتوجيههم توجيهاً مثالياً بناء على إمكاناتهم وقدراتهم العقلية والجسدية والانفعالية وإتاحة الفرص أمامهم للنمو والتفاعل الاجتماعي والتوافق مع البيئة الخارجية والتوسط والاعتدال وتحاشي القسوة الزائدة أو التدليل الزائد (العيسوي، 1993: 284- 288).

وعليه تكون المعاملة الوالدية مجموعة أفكار وأفعال ينقل بموجبها الأبوان ( الأب والأم) بصورة شعورية أو غير شعورية سلوكياتهما اليومية المتمثلة فى تصوراتهما وأفكارهما واستراتيجيتهما وفق عملية ديناميكية تواصلية مستمرة تتم فى اطار عملية التنشئة الاجتماعية باختلاف مراحلها.

إن انحراف الأحداث- حالات عدم تكيف اجتماعي لصغيرى السن - ظاهرة اجتماعية افرزتها التغيرات الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية للمجتمع وتاخد أهميتها على اعتبار انها تمس شريحة عمرية هشة جسديا ونفسيا واقتصاديا وعقليا وهي فئة الأطفال والمراهقين – الأحداث– بدأت هاته الظاهرة في البروز والاستفحال في الآونة الأخيرة بشكل مقلق نتيجة الانعكاسات السلبية على الأحداث المنحرفين بشكل خاص والمجتمع بشكل عام.

اذا كانت هاته الظاهرة معروفة في المجتمعات المتقدمة فإنها تبقى غامضة ومعقدة في مجتمعات العالم الثالث وفي الجزائر نتيجة الاختلالات الهيكلية والعميقة التي مست كل مجالات الحياة الاجتماعية، الاقتصادية، التربوية والثقافية.

إن علاقة الآسرة بانحراف الأحداث موضوع نال ' ولسنوات طويلة' اهتمام المختصين والباحثين في العلوم الانسانية والاجتماعية وان هذا الاهتمام يفسر أساسا على اعتبارها المؤسسة الاساسية للتنشئة الاجتماعية كونها الجماعة الأولية في حياة الحدث.

إن تصنيف الأسباب وتعددها لا يعني أنها مستقلة عن بعضها البعض بل تتفاعل في تركيبات اجتماعية نفسية وتربوية لتخلق مجالا يؤدي إلى الانحراف والجنوح.

ومن المجالات الاجتماعية – التربوية تحتل الأسرة مكانه مرموقة باعتبارها الوحدة الأساسية في الحياة الاجتماعية للنمو ورفاهية أفرادها وفيها يكتسب الفرد المعايير والقيم الأخلاقية والتربوية السوية.

وادا كان الانحراف عموما يرجع إلى عوامل نفسية، اقتصادية واجتماعية وتربوية فانه في حالة الأحداث لا يمكن بأى حال من الأحوال ان تكون الأسرة غائبة وغير مؤثرة لان عملية التنشئة الاجتماعية تاخد أسسها ومبادئها الأولية من الأسرة قبل تدخل المؤسسات التربوية والثقافية الأخرى.

ولأن الأسرة هى المؤسسة الأساسية في المجتمع باعتبارها النظام الأول والأقدم للمجتمعات الإنسانية وتتضمن كل المواصفات والوظائف( البيولوجية، الاقتصادية، الاجتماعية، النفسية والتربوية)،التي يحتاجها المجتمع ويمارسها اتجاه أفراده.

و يتجسد دور الأسرة من خلال معاملة الوالدين للأبناء التي تبدأ بميلاد الطفل الى غاية بلوغه سن الرشد غير أن اثارها تبقى مستمرة فى شخصية الفرد طوال حياته. وتتحدد معالم المعاملة الوالدية عبر الآداءات الوظيفية للوالدين عموما وعبر الوظيفة التربوية التي تتم خلال التنشئة الاجتماعية للطفل، في سيرورة تواصلية متكاملة، على وجه الخصوص.

وخلال العصور السابقة مرت الأسرة بمراحل مختلفة ومتعددة أثرت على هيكلتها، بنائها وكدا العلاقات بين أفرادها والوظائف المنوطة بها. خاصة في وضيفتها التربوية.

وقد نجد هاته الملاحظات مجسدة في الاختلالات الوظيفية للأسرة التقليدية في المجتمع الجزائري الشيء ألدى أدى إلى وجود اضطرابات كثيرة نتيجة التغيرات السريعة والعنيفة التي مست المحيط الاقتصادي والاجتماعي للأسرة.

**1- تعريف انحراف الأحداث:**

هناك صعوبة في وضع تعريف شاملا وجامعا لانحراف الأحداث نظرا لاختلاف المعيار الذي يحدد السلوك المنحرف من جهة وكذا السن المناسب لكلمة حدث من جهة أخرى وهذا ما يجعله يختلف من بيئة اجتماعية وثقافية لأخرى.

وإذا كانت بعض المجتمعات تركز، في تحديدها لكلمة انحراف، على مجموعة من السلوكيات الغير اجتماعية مثل :السرقة، الإدمان والاعتداءات المختلفة فإنه في مجتمعات أخرى تضاف إلى قائمة السلوكات المنحرفة كل الوضعيات والمواقف الاجتماعية الغير متكيفة مثل الهروب من المدرسة، التشرد، التسول وممارسة بعض المهن التجارية ...الخ.

وفي المجتمع الواحد تختلف نماذج السلوك المنحرف من فئة اجتماعية وثقافية لأخرى.

كما اختلفت تعريفات الحدث من بلد إلى آخر، إذ لم يحدد القانون كيفية تحديد سن الحدث إلا أن السن القانونية التي تفصل الأحداث عن الراشدين غالبا ما تكون ثمانية عشر.

والتشريعات القديمة باستثناء الشريعة الإسلامية لم تعرف إلا مرحلة واحدة من عمر الحدث وهي المرحلة السابقة على التمييز. وتمتد فترة الحداثة بنظر علماء النفس والاجتماع إلى أن يتم النضج العقلي والاجتماعي [1].

**2- مقاربات معرفية في تناول انحراف الأحداث:**

**أ- انحراف الأحداث من الناحية الاجتماعية :**

إن المفهوم الاجتماعي لانحراف الأحداث يستند إلى المجتمع وثقافته، لأن كل مجتمع له قواعد اجتماعية ومعايير سلوكية، متعارف عليها، ومعمول بها من طرف أغلبية الأفراد وهاته القواعد مستمدة من الدين، العادات والتقاليد وكذا التشريع السائر في ذلك المجتمع .

وعليه فكل خروج أو مخالفة لهاته القواعد السلوكية يعتبر انحراف أي أن السلوك المنحرف هو انتهاك للقواعد الاجتماعية.( محمد الجوهري.1979.35)

كما يعتبره "م.ب كلنارد.Mb clenard." بأنه السلوك الذي يجلب السخط الاجتماعي لعدم توافقه للعرف والتقاليد الاجتماعية ( الجدوهرى. 1998.32)

فانحراف الإحداث من الناحية الاجتماعية هي السلوكيات المنبوذة من طرف المجتمع والمخالفة لأعرافه وقوانينه .

**ب- انحراف الأحداث من الناحية النفسية :**

إن الحدث المنحرف حسب علماء النفس، هو الشخص الذي يتسم بشخصية تتميز بفقدان القدرة على التوفيق بين دوافعه الفطرية وما يتطلبه الواقع الاجتماعي الذي يعيش في وسطه.

وشخصية الحدث المنحرف تحددها الأسس الآتية☹: (خيرى خليل الجميلى.1994.13)

- الاستعداد الفطري للحدث واضطراب علاقاته الاجتماعية من مرحلة الطفولة.
- الضمير الأخلاقي الغير متزن والضعيف للحدث.
- شعور الحدث بالقسوة من طرف الآخرين خاصة الأولياء.

من هنا يكون انحراف الحدث هو سلوك غير اجتماعي مضاد للمجتمع يقوم على عدم التوافق والصراع النفسي بين الحدث وذاته وبين الحدث والآخرين.

**ج- انحراف الأحداث من الناحية القانونية :**

لكل مجتمع تشريعاته وقوانينه التي تحكم العلاقات وسلوكات الأفراد كما يحدد تشريعه الخاص بالأحداث وانحرافهم انطلاقا من ثقافته.

وعموما فإن القانون يحدد مجموعة من السلوكات الغير اجتماعية ويصنفها كانحراف الأحداث مثل:

- التشرد والهروب من البيت .
- القيام ببعض السلوكات الخاصة بالكبار مثل : السجائر ... الخ.
- المشاركة في أعمال تتصل بالدعارة والفسق، القمار، والمخدرات.
- الاندماج في جماعات المنحرفين مثل العصابات .
- عدم احترام الأولياء أو الغير.
- التسول في الطرقات .
- الاعتداءات الجسدية والسرقة ..الخ..

ونلاحظ من خلال سرد السلوكات الإنحرافية الخاصة بالأحداث أن القانون يربط بين الانحراف والجنوح نظرا للعلاقة الوطيدة بينهما .

**3- الشريعة** الإسلامية **وانحراف الأحداث** :

**أ- الشريعة الإسلامية ورعاية حقوق الطفل:**

إن اهتمام الدين الإسلامي بالطفل يبدأ قبل الولادة والإنجاب وذلك عن طريق اختيار الأبوين، فوضع شروط تحدد المقاييس التي من خلالها يختار الرجل الزوجة الصالحة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك"(عبدالرب نواب آل نواب 2002.34) وكذلك من حق الزوجة والأولاد أن يكون لهم أبا صالحا يرعاهم ويحسن توجيههم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه أن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض" .(عبد الرب نواب آل نواب.2002.33)

والإسلام يرغب في الوقاية من الجريمة قبل وقوعها؛ ويوجه إلى اختيار الزوجين الصالحين قبل أن تبدر بوادر الانحراف أو الاعوجاج عن سواء السبيل ووسائل الإغراء والإغواء في هذا العصر أكثر وأعتى من ذي قبل؛ فكان توفى البيوتات الأصيلة ذات المعادن النفيسة.

إن اختيار الأبوين الصالحين يحقق بيئة تربوية صالحة ونشأة خير مما يعصم ويقي الأبناء من الانحراف وأكثر من ذلك فقد جعل الإسلام للأبناء حقوقا أخرى تحفظ لهم صحة البدن والعقل لذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:"تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس". ( عبدالرب نواب آل نواب 2002.38 )

كما حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من زواج الأقارب حرصا على نجاة الطفل وسلامته الجسدية من الأمراض الوراثية، فقال عليه الصلاة والسلام: " اغتربوا لا تضووا"، والمقصود بالضاوى هو نحيف الجسم والذكاء.

بعد ذلك اهتم الإسلام بالطفل وهو في بطن أمه حيث حرم الإجهاض تحريما مطلقا ووقاية لهذا الجنين ونموه فقد أبيح للمرأة الحامل إن خافت على جنينها أن تفطر رمضان.حيث جاء عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إن الله تعالى وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة، وعن الحامل والمرضع الصوم ". (ابن حجر العسقلاني ص135)

وبمجرد ولادة الصبي أوجب الإسلام أن يختار له اسما جميلا لقوله صلى الله عليه وسلم :"أحسنوا أسماء كم فإنكم ستدعون يوم القيامة بأسمائكم " كما قسم له الميراث وواجب إخراج الزكاة عليه بمجرد ولادته حيا كما حرم قتل الولد لأي سبب كما كان يفعله أهل الجاهلية .

**- حق الطفل في الرضاعة :**

أوجب الإسلام رعاية الطفل وتنشئته تنشئة سليمة من كافة الجوانب البدنية والعقلية والنفسية كي يترعرع مكتمل الملكات سليم الحواس، ولا يمكن تحقيق هذا الغرض إلا بإقرار الحق الطبيعي للولد في الرضاعة وتحديد المدة الزمنية الكافية لذلك، عملا بقوله تعالى "والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ..." (سورة البقرة الآية233)

كما ألزم الأم بإرضاع الولد فلا يحل لها أن تمتنع إلا لعذر شرعي، وفي هذه الحالة يمكن أن ترضعه امرأة أخرى.

ومن هنا نكون قد ضمنا للطفل رضاعة طبيعية تحميه من الأمراض وتنمي جسده.

**- الحضانة وعدم الإهمال:**

للطفل كذلك حاجات أخرى كثيرة تأتي بعد الرضاعة إذا لا بد من رعاية شاملة لساعات نومه ويقظته ونظافته ومداعبته والحنو عليه ودفع الأذى عنه حتى يكون نموه سليم بعيد عن مخاطر المرض والانحراف.

**- المساواة بين الأبناء :**

كما حث الإسلام على المساواة بين الأبناء وعدم التمييز بينهم، وفي السيرة النبوية الشريفة فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه النعمان بن بشير يريد أن يشهد على عطية أعطاها لابنه النعمان فقال صلى الله عليه وسلم :"أأعطيت سائر ولدك مثل هذا فقال:لا، قال : فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم"(أحمد الصفيلح.1986.57)

وكلنا يعلم حاجة الطفل إلى الشعور بالأمان والمحبة وا لقبول من طرف والديه.

**– الصدق وعدم الكذب:**

كما أوصى الإسلام بالصدق وعدم الكذب على الأبناء لأنهم يراقبون سلوك الكبار ويقتدون بهم فلا يجوز خداعهم بأي حال وأن يكون الوالدين نموذجا طيبا وقدوة حسنة يقتدون بها وصورة حية للأخلاق الفاضلة. كما توعد الإسلام على من يدل الأطفال على ما هو معصية نهى عنها الإسلام أو يغريه، كأن يعلمه شرب المسكرات وفعل المنكرات والقبائح والشتم والبذاءة..

**- التمييز في المسؤولية بين الكبار والصغار :**

من أروع مبادئ حقوق الطفل ما جاءت به الشريعة الإسلامية في تميزها بين الصغار والكبار من حيث المسؤولية الجنائية حيث يقول الأستاذ عبد القادر عودة (عبد القادر عودة .1963.599) "تعتبر الشريعة الإسلامية أول شريعة في العالم ميزت الصغار عن الكبار تميزا كاملا من حيث المسؤولية الجنائية كما وضعت قواعد لم تغير منذ أربعة عشر قرنا وهي بذلك أحدث القواعد التي تحدد مسؤولية الصغار في عصرنا".

إذا تقوم المسؤولية الجنائية في الشريعة الإسلامية على عنصرين أساسيين هما الإدراك والاختيار كما تختلف أحكام الصغار باختلاف الأدوار والمراحل التي يمر بها الإنسان من وقت ولادته إلى الوقت الذي يستكمل فيه ملكتي الإدراك والاختيار وبناءا على هذا التدرج في تكوين الإدراك وضعت قواعد المسؤولية الجنائية أي أن انعدام الإدراك هو انعدام للمسؤولية وكلما كان الإدراك ضعيفا تكون المسؤولية تأديبية لا جنائية و باكتمال الإدراك يكون الإنسان مسؤولا من الناحية الجنائية .(عبد الغني محمد سليمان.1986.155)

**ب–مفهوم الحدث في الشريعة الإسلامية :**

انطلاقا من مبدأ الإدراك والاختيار فلقد حددت الشريعة الإسلامية أحكام قواعد تختلف باختلاف المراحل العمرية التي يجتازها الإنسان من يوم ولادته حتى بلوغه سن الرشد وهذه المراحل هي (عبد القادر قواسمية 1993.19)

**- المرحلة الأولى :** وتبدأ من يوم ولادة الشخص وتنتهي ببلوغه سن السابع وتسمى بمرحلة انعدام الإدراك ويسمى الصغير فيها بالصبي الغير مميز والغير مدرك، وقد حدد الفقهاء لهذه المرحلة سبع سنوات كاملة فلا يتصور تمييز قبلها وهذه المرحلة لا عقاب عليها لأن إدراكه منعدم ويتخذ ضده إن أخطأ إجراءا تأديبيا، تبعا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :"مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع"( عبد القادر قواسمية 1993.21)

**- المرحلة الثانية :**

وتسمى بمرحلة الإدراك الضعيف ويسمى الصغير فيها بالصبي المميز وتبدأ بعد سن السابعة وتنتهي بالبلوغ الطبيعي الذي يكون ببروز مظاهر الرجولة أو نضوج الأنوثة وحددت بخمسة عشر سنة ويقول الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه أن البلوغ بالسن في حالة عدم ظهور الصفات البيولوجية يكون ببلوغ الفتى ثماني عشر سنة وببلوغ الفتاة سبع عشرة سنة ويتفق الإمام مالك معه (محمد أحمد الصوالحة.1994.218) وتكون العقوبة في هذه المرحلة تعزيزية وبالتالي لا يكون هناك عقاب بقدر ما هو تهذيب وتوجيه نحو الخير.

**- المرحلة الثالثة** : وتسمى بمرحلة الإدراك الكامل ببلوغ الطفل سن الرشد وخلال هذه المرحلة يكون الإنسان مسؤولا جنائيا عن جرائمه أيا كان نوعها إن لم يكن سفيها أو مجنونا .

ومن التدابير المتخذة إزاء الأحداث المنحرفين في الشريعة الإسلامية التقويم الخلقي والديني باعتباره الأساس الذي يجنب الأطفال الوقوع في الانحرافات المختلفة عن طريق التنشئة الاجتماعية التي تعتمد الأسس الآتية:(عدنان الدورى.1989.20).

- **الرحمة**: وهي الرباط الذي يشد أركان الأسرة ويجعلها بيئة قادرة على احتضان الأطفال والتكيف مع حاجياتهم.

- **الضبط** : وهو الميكانزم الذي يضمن الرقابة خلال مراحل تدريب الطفل على الحياة الاجتماعية عن طريق قواعد وقوانين صارمة.

- **الثواب والعقاب** :وتتمثل في استحسان الأعمال والسلوكات أو استهجانها وتعليم الأطفال الخوف من الله واحترام الوالدين.

من خلال استعراضنا لمفهوم الشريعة الإسلامية للحدث والانحراف نستطيع أن نجد برنامجا متكاملا في نظرته إلى خصوصية الحدث وكيفية التعامل معها وهذا ما تصبوا إليه كل الأصوات التي تنادي بحقوق الطفل وحمايته.

و لم تتوقف الشريعة الإسلامية في اهتمامها على الحدث وكيفية التعامل معه بل حاربت كل العوامل التي من شأنها أن تؤدي إلى انحراف الأحداث بنبذها لكل أشكال التصدع الأسري وكذا الفقر... الخ.

فكما حرم الإسلام قتل الولد لأي سبب كما كان يفعله أهل الجاهلية؛ أوجب رعاية حاجاته وتنشئته التنشئة السليمة والسوية من كافة الجوانب كي يترعرع مكتمل الملكات وسليم الحواس.ويضطلع الأبوين بالدور الأكبر والأساس في هذا المضمار الحيوي.

وإذا كان الانحراف عموما يرجع إلى عوامل اقتصادية، اجتماعية وتربوية فانه بالنسبة للأحداث يرتبط ارتباطا وثيقا بالعلاقات الأسرية على اعتبار أن المراحل الأولى للطفل يكون في اتصال مكثف مع أسرته دون المؤسسات الاجتماعية والتربوية الأخرى.

عند بداية القرن التاسع عشر بدأ الاهتمام فى أوروبا بدراسة الجريمة والانحراف وفق منظور ينطلق من الفرد الجانح أو المنحرف الشيء الذى اعطى مسارات بحثية بيو- طبية تزعم تحديد – عند بعض الأفراد- وجود استعدادات طبيعية للعدوان والجريمة فى حين ارجعه البعض الى الانحلال الأخلاقى الذى ميّز المجتمعات الأوروبية انذاك.

و لم تظهر الدراسات السوسيولوجية حول موضوع الانحراف عموما وانحراف الأحداث على وجه الخصوص الآ فى بداية القرن العشرين وبالتحديد قبل الحرب العالمية الأولى. ثم تطورت الدراسات فى مرحلة مابين الحربين العالميتين فى جامعة شيكاكو بالولايات المتحدة الأمريكبية ابنداءا من سنة 1930 على يد سوترلند sutherland وميرتون merton وبعد الحرب العالمية الثانية ظهر جيل جديد من الباحثين الأمريكيين الدين أسسوا ماسمى بالمدرسة الثانية لشيكاغو التى اعتمدت على تحليل البناء الاجتماعى وبالخصوص نظرية الوصم الاجتماعى والتى تعتمد على دراسة التفاعل الاجتماعى بين الأفراد والمؤسسات الاجتماعية وعلى رأسها الأسرة وبروز السلوكات الانحرافية لدى الأفراد عموما والأحداث بوجه خاص.( mucchielli laurent 2014 p10 )

## 4- الدراسات التى تناولت انحراف الأحداث وأسبابه :

ولكننا كثيرا ما نتكلم عن أسر يتكرر فيها السلوك الانحرافى أكثر من غيرها (diatkine 1979) فى حين يؤكد آخرون على عناصر خارجية عن النسق الأسرى والتى تقف وراء انحراف الأحداث ويمكننا جرد وتصنيف هاته الدراسات حسب المجالات الآتية:

### أ/ الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية:

وتشمل كل الدراسات التى ركزت على المستوى الاقتصادى للأسرة وبروز انحرافات الاحداث اذ حاولت عبر تحقيقات ميدانية من جانب الأحداث أنفسهم أو أسرهم على وجود تكرار لسلوكات انحراف تمس الأحداث والمنحدرين من أسر من أسر ذات مستويات اقتصادية صعبة / . Le blanc.كم . 1983 كما أكدت بعض الدراسات الطولية على ربط تواجد انحرافات الأحداث بالتمايز والفوارق الطبقية من خلال ملاحظة بعض المظاهر الانحرافية (السرقة والاعتداءات المختلفة) ببعض الفئات الاجتماعية( العمال

البسطاء) واشكال اخرى من انحرافات الأحداث( المخدرات، الكحول وغيرها) ببعض الأسرالتي تنمى الى طبقات اجتماعية متوسطة أو غنية.

ونفس الباحثون يؤكدون بأن معامل الارتباط الاحصائى ليس قويا فى كل الحالات حتى يمكننا أن نعتقد بحتمية انحراف والفئة أو الطبقة الاجتماعية، أى أن الأحداث المتمدرسين من الأسر الأكثر فقرا ليسوا فى كل الحالات أكثر انحرافا، وفى نفس السياق يربط بعض الباحثين تواجد انحرافات الأحداث بالمجال العمرانى وطبيعة المسكن (mucchielli.2001) وذلك بتصميم خريطة توزيع وانتشار الانحرافات حسب المجال أى الاحياء السكنية وطبيعة المسكن.

**ب/ الديناميكية الوالدية ضمن النسق الأسرى:**

فى هذا المجال أكّد الباحثون على الجوانب الأتية:

- العلاقات بين الوالدين.
- غياب أحد الوالدين أو كليهما.
- عمل المرأة.
- الانجاب المتزايد.

اذ أكدت دراسات أخرى (Wells et parkin 1991 ) على الارتباط الموجود بين بعض السلوكات الانحرافية الخارجية للأحداث ( الهروب من البيت أو المدرسة) ومدى استقرار النسق الأسرى وفى دراسة ل (choquet et le doux 1994 ) توصلا الى العلاقة بين الانفصال والطلاق وتدهور الحالة الصحية للحدث وكذا بروز بعض الاضطرابات النفسية لدى الأحداث مابين 11و14سنة.

وأبرزت دراسة ((H( jqcob. ;c kibben et proulx1992أثر السوابق الوالدية للأنحراف فى شكل اعتداءات جنسية بحصور الانحراف فى 32 حالة مابين 37 حالة التى شاركت فى الدراسة وتشترك هاته الحالات فى تعرضها لاهمال والدى، انفصال الوالدين أو وفاة احدهما.

كما يلعب حجم الأسرة – عدد الأطفال- دور فى تكرار السلوكات الانحرافية كما أشارت اليه دراسة Le blanc 1987 اذ وقف على نسبة تفوق 77 بالمئة من الحالات الانحرافية التى تمس ألأحداث المنتمين الى أسر ذات أربعة أطفال فما فوق ويرجع هذا السلوك الانحرافى – حسب ما أفرزته الدراسة – الى انتشار الانحراف بين الأخوة وكذا ضعف الرقابة الوالدية.

وعى غرار ذلك ذهبت دراسات أخرى الى ربط انحراف الأحداث الحالة المهنية للوالدين فى اشكالها المختلفة :

- طبيعة مهنة الوالدين.
- بطالة أحد الوالدين أو أحدهما.
- عمل الأم ...الخ.

ورغم كل هاته العناصر السالف ذكرها الا أن دورها فى انحراف الأحداث ثانوى وغير اساسى (rutter. Giller 1983 ).

**ج/ المعاملة الوالدية وانحراف الأحداث:**

منذ 1969 أكد hirsch على مدى تاثير الرقابة والضبط الوالدى على نمو الطفل اجتماعيا ومنذ ذلك الحين برز الارتباط بين المعاملة التربوية التى تتميز بالرقابة والضبط الاجتماعى والسلوكات الانحرافية لدى الأحداث على اعتبار أن المتابعة المستمرة للوالدين وممارستهما للرقابة والصبط من شأنه تشجيع الحدث على احترام القواعد الاجتماعية والابتعاد عن السلوكات الغير اجتماعية وقد يكون للرقابة والضبط دور عكسى اذ بالغ الوالدين فى استعمالهما واذا اتسمت بشكل من اشكال العنف على الحدث.

ولقد لاحظ (le blanc. Frechette 1987 ) بأن انحراف الأحداث يتجلى اكثر عند الأحداث الذين لا يستفيدون من مراقبة ومتابعة والديهم 78 بالمئة. مع التأكيد على أن المتابعة والمراقبة تساعد كثيرا على الوقاية والتكفل مبكرا بمشكلات الأحداث قبل استفحالها، لأن المراقبة لا تتوقف عند ملاحظة السلوك المنحرف لدى الحدث بل تستجيب للموقف الذى يعيشه الحدث.

كما حاولت بعض الدراسات ربط طبيعة الاتصال بين الوالدين والأحداث وبروز بعض السلوكات الانحرافية عند هؤلاء. اذ وقف towberman 1994 على غياب الاتصال الشفوى أو الغير شفوى فى حين ركز lempers 1990 على غياب او نقص الاتصال عموما، بينما اهتم pederson 1994 باانعدام الاهتمام العاطفى وذهب

krohnet coll 1992 الى التركيز على القيمة الاجتماعية للأتصال المتجسد فى عدم مشاركة الوالدين الحدث فى النشاطات اليومية.

ولقد سبقت تلك الملاحظات دراسة glueck 1950 اذ قارن بين 500 حدث منحرف مع 500حدث سوى السلوك فى الجانب العلائقى مع الوالدين ووصل الى أن نسبة 42.9 بالمئة من الأحداث المنحرفين مقابل فقط 16بالمئة من الأحداث الغير منحرفين لديهم والد غير مبال وغير مهتم وفى حالات أخرى يكون نابذا للأحداث.

بالاضافة الى نسبة 21بالمئة من الأحداث المنحرفين وفقط 3.4 بالمئة من الأحداث الغير منحرفين منة لديهم أم تتميز بالنبذ أو الحماية المفرطة ةتلخصت أجوبة المبحوثين

فى عبارة عدم اهتمام الوالدين وخاصة الأب بمستقبا أبنائه وغير مبال بمسارهم الدراسى.

ولخصت دراسة le blanc 1988 على قلة وضعف ارتباط الأحداث المنحرفين بوالديهم لانعدام علاقة اجتماعية مستمرة وثابتة.

كل هاته الدراسات وغيرها أكدت على اثر المعاملة الوالدية على السلوكات الانحرافية للأحداث.

إن عملية المعاملة الوالدية التي تمارس ضمن جهاز الأسرة تبدأ تظهر معالمها منذ ميلاد الجنين إلى غاية استقلاليته عن الأبوين غير أن أثارها تبقى مستمرة في شخصية الطفل فالمراهق فالراشد.

## 5- المعاملة الوالدية بين الماهية والعوامل المؤثرة:

### أ- تعريف المعاملة الوالدية:

● معنى المعاملة في المصباح المنير (1922)؛ من الفعل "عمل" ويقال عملته أي جعلته عاملا (أحمد بن محمد الفيومي، 1922 ص 586)

ومعنى المعاملة في مختار الصحاح (1926) هي من الفعل "عمل" وأعمله واستعمله، أي طلب إليه العمل، ورجل عمل أى مطبوع على العمل وعمول ورجل عامل بمعنى كثير العمل ( محمد عبد القادر الرازي، 1926 ص455).

أما معنى المعاملة فى معجم الوسيط (1961) هي من الفعل "عمل" ويقال عمل عملا أى فعل فعلا عن قصد، وعمل فلان على الصدقة أي سعى إلى جمعها، ويقال عامله أي تصرف معه فى البيع أو نحوه...... وتعاملا أي عامل كل منهما الآخر، والمعاملات الأحكام الشرعية المتعلقة بأمور الدنيا...( عبد السلام هارون وآخرون 1961 ص624)

من كل هذا نستنتج أن مفهوم المعاملة جاء من الفعل عمل ويقصد بها الفعل القصد بين فرد وأخر أو بين مجموعة من الأفراد..

● **الوالدية**: ويقصد بها الأب والأم معا ، وهي "ولد" ويناسب مفهوم المعاملة الوالدية فى العربية بالمعنى اللغوى Parental practice styles بالغة الانجليزية ( Webester 1980, the new oxford,& the word book dictionnary 1991) ويقابلها مفهوم Traitement parental بالغة الفرنسية (

Rey caroline , maltraitance des enfants et adolescents. 2001, paris, p11) ●

وقال علماء اللغة: أصل الأب(أبو) محركة، لأنه جمعه أباء وفى التثنية أبوان والأب (الوالد) يطلق على الجد والعم والصاحب وعلى من كان سببا فى إيجاد شيء أو ظهوره أو اصلاحه والأبوان( الوالدان) الأب والأم.

مماسبق يتبين أن لفظة الأب تتضمن خصائص الوالدية بكل صورها وأبعادها سواء كان بالاصالة وهو الوالد، أو بالتبعية فيدخل فيه العم والمعلم والمربى والكافل ونحو ذلك( عبد الرب نواب الدين ال نواب 1996 ص13).

● البعض من التعاريف اعتمد تعريف المعاملة الوالدية من وجهة نظر الوالدين :" مايراه الآباء ويتمسكون به من أساليب في المعاملة الأطفال ومواقف حياتهم المختلفة، كما يظهر من تقريرهم اللفظي عن ذلك ( محمد عماد الدين ورشدي قام، 1974 ص12).

● تعرفها هدى قناوي (1988) "بأنّها الإجراءات والأساليب التي يتبعها الوالدان في تطبيع وتنشئة أبنائهم اجتماعيا، أي تحويلهم من مجرد كائنات بيولوجية إلى كائنات اجتماعية وما يعتنقاه من اتجاهات توّجه سلوكهم فى هذا المجال"( هدى قناوي، 1988، ص83).

●ويعرّفها خالد أحمد الطحّان (1977) بأنها تنظيمات نفسية اكتسبها الآباء والأمهات من خلال خبراتهم التى مروا بها في حياتهم، وتحدد لهم بصفة مستمرة أساليب تعاملهم مع أبنائهم إلى حد كبير (محمد خالد الطحان 1977 ص127).

أما محمود منسي ومحمود بيومي فيلخصان المعاملة الوالدية فى الأساليب التي يتبعها الوالدان في معاملة الأبناء كما يدركها الآباء داخل نطاق الأسرة.

● كما اعتمد البعض وجهة نظر الأبناء في تعريفهم للمعاملة الوالدية: أي" كل مايقرره الأبناء من مفاهيم وانطباعات تتعلق بالمدركات التي تتكون لديهم من اتجاهات الوالدين نحوهم " شيفر 1965 Schaefer ".( مصطفى تركي 1980 ص191).

● وفى نفس الإطار يعرّفها (الهامى عبد العزيز 1987) بأنّها مواقف الآباء والأمهات اتجاه أبنائهم والأسلوب المتبع في التنشئة خلال مواقف الحياة المختلفة البيولوجية والاجتماعية وويتم التعرف عليها من خلال إدراك الأساليب الآتية:

- التقبل مقابل الرفض
- المساواة مقابل التفرقة
- الاتساق مقابل التذبذب
- الاستقلالية مقابل التبعية...الخ.

من خلال مراجعة التعريفات السابقة نلاحظ بأنّها تفصل في عملية المعاملة الوالدية بين الآباء والأبناء بينما المعروف إن المعاملة الوالدية وان كانت تنطلق من الآباء فهي عملية تربوية ديناميكية تفاعلية نسقيه.

● **تعريف المعاملة الوالدية إجرائيا** :

هي مجموعة الأفكار والأفعال المجسدة لعملية التنشئة الاجتماعية، ينقل بموجبها الأبوان( الأب والأم) بصورة شعورية أو لاشعورية سلوكياتهم اليومية المتمثلة في تصوراتهما وأفكارهما وإستراتيجيتهما، يدركها ويتعلمونها بالتدرج من خلال عمليتي التواصل اليومي وبناء العلاقات على أنّها آليات ملزمة التنفيذ وتتمثل في الرفض، الحماية المفرطة، التحكم، الإهمال، القسوة، التذبذب، التفرقة وفق اختبار المعاملة الوالدية المعدل ل "علاء الدين كفافى"

ومن خلال التعريف الاجرائى لمفهوم المعاملة الوالدية نلاحظ ما يأتي:

- المعاملة الوالدية هي مجموعة أفكار وأفعال تنقل بصورة شعورية أو لاشعورية، مباشرة أو غير مباشرة.
- إن المعاملة الوالدية هي دينامكية تواصلية مستمرة تتم في إطار عملية التنشئة الاجتماعية باختلاف مراحلها.
- تعتمد المعاملة الوالدية على ثقافة وخبرات الوالدين.

- تتحدد المعاملة الوالدية بالنسبة للأبناء حسب إدراكهم لها.

وعن طريق المعاملة الوالدية يكتمل النمو النفسى والاجتماعى للطفل. على اعتبار أنها تتضمن كل السبل والاجراءات التى يتبعها الوالدان فى تطبيع وتنشئة أبنائهم اجتماعيا.

- والمقصوذ بالمعاملة الوالدية:" الآساليب التى يتبعها الوالدان فى معاملة الآبناء"(محمود حسن ومحمود بيومى 1989)

أى أن المعاملة هى مجموعة القيم والأعمال التى تنتقل عبر عملية التنشئة الاجتماعية وفق أساليب وأنماط تختلف من أسرة لأسرة .ولقد كانت المعاملةالوالدية محور اهتمام العلماء منذ القديم ففى الحضارة السومرية – مثلا- وعبر المخطوطات المكتوبة يؤكدون على دور الأم فى معاملة الأحداث وفى اليونان ركزوا على ضرورة معاملة الأحداث بعيدا عن التسلط والقسوة اما فى أثينا فكانت المعاملة موّجهة الى المحافظة على أهداف المدينة ( paul durning .1995.16) ومن هنا يبرز دور الوالدان "الأبوان" فى تجسيد كل العناصر الاجتماعية التى يحتاجها الفرد فى حياته باعتبارهما:

- المدرسة الاولى.
- السلطة والرقابة.
- التوازن العاطفى.
- المرجع القيمى.
- المعيار السلوكى

وعليه تكون المعاملة الوالدية مجموعة أفكار وأفعال ينقل بموجبها الأبوان ( الأب والأم) بصورة شعورية أو غير شعورية سلوكياتهما اليومية المتمثلة فى تصوراتهما وأفكارهما واستراتيجيتهما وفق عملية ديناميكية تواصلية مستمرة تتم فى اطار عملية التنشئة الاجتماعية باختلاف مراحلها.

**ب-العوامل المؤثرة فى المعاملة الوالدية للحدث:**

تختلف المعاملة الوالدية من أسرة لأخرى ومن طبقة اجتماعية لأخرى ومن خصوصيات ثقافية وقيمية لأخرى من جهة بلاصافة الى عناصر مرتبطة بالطفل من جهة ثانية، ويمكننا ادراج أهم العوامل المؤثرة فى معاملة الوالدين لأبنهم فيما يأتى:

- علاقة الحدث بوالديه.
- العلاقة بين الوالدين.
- تماسك النسق الأسرى.
- حجم الأسرة.
- المستوى الاقتصادى للأسرة.
- المستوى الاجتماعى للأسرة.
- المستوى التعليمى والثقافى للوالدين.
- جنس الحدث.
- الترتيب الميلادى للحدث.
- الحالة الصحية للحدث.

**ج- مراحل المعاملة الوالدية:**

- انصب تركيز " جالينسكى"Galinsky على دور الوالدين، هذا الدور الذى يخضع ويتبع عملية النمو حسب التدرج والزمن، اذ أوضحت أن عملية الدور والمعاملة الوالدية تبدأ بتأمل وصول وولادة الأطفال وتتكيف وفقا للحاجات النمائية المستمرة

للأطفال ولخصت – بناء على مقابلات أجرتها مع الأباء والأمهات– ست مراحل للمعاملة الوالدية كل مرحلة من هذه المراحل تمثل طرائق يستثمر فيها الوالدان طاقتهما العقلية والوجدانية فى مهمة معينة لتربية الطفل وهى☹: (فيليس هيث.2005.48)

●**مرحلة التصور والانتظار** : تحدث اثناء الحمل أو الاعداد للتبنى عندما يعد الراشدون لأن يكونوا أباء وأمهات باتفكير فى معنى أن يكون الفرد والدا والتأمل فى التغيرات اللازمة فى حياتهم للتكيف. ويؤسس هذا التصور من خلال التجارب الشخصية للوالدين وأسرهم وكذا مستوياتهم التعليمية والثقافية وكذا أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية.

●**مرحلة التربية الأولى:** وتبدأ من الميلاد الى نهاية مرحلة الطفولة الأولى، خلال هاته الفترة يرتبط الوالدان مع الطفل مع ادخال تعديلات على حياتهما لدعم أدوارهما كمقدمى الرعاية مع البحث عن التوازن بين حاجاتهما وحاجات الطفل.

فاذا كانت مرحلة التصور تهيئ الشروط النفسية للطفل فان مرحلة التربية الأولى هى مرحلة الرعاية والاهتمام بالجانب الجسدى لضمان نمو متوازن للطفل وذلك عن طريق المجهودات التى يبدلها الوالدان وخاصة الأم، فالشعور بالحرمان والاحباط يبدأ من هذة المحطة الرئيسية فى حياة الطفل.

● **مرحلة السلطة والضبط:** وتتم فى مرحلة الطفولة الثانية حيث يجد الوالدان أنفسهما أمام سلوكات الطفل بصورة طبيعية وتلقائية ويتحدد موقفهما فى معاملة الطفل بتحديد من يقرر وماهى السلوكات والأقوال المقبولة والغير مقبولة من قبل الوالدين، وتتميز هاته المرحلة بالتعلم السريع للطفل. وهنا يتناوب دور الوالدين فى المعاملة اذ خلافا للمرحلة السابقة أين كان للأم الدور الرئيسى، فالأب هو محور السلطة والضبط الاجتماعى بالنسبة للطفل حتى يدمج فكرة السلطة فى الأسرة والمجتمع ومن يمارسها.

●**مرحلة التوجيه والمتابعة:** وتبدأ عندما يلتحق الطفل بالمدرسة اذ يندمج فى برامج تعليمية ورياضية وثقافية ويكون نسيج من من العلاقات الخارجية فتتحول المعاملة الوالدية الى دور وسيط بين الطفل والمؤسسات والجماعات الخارجة عن نطاق الأسرة، وفى هاته المرحلة يصبح الطفل أكثر استقلالية وأكثر قدرة ومهارة.

فاذا كانت المعاملة الوالدية فى المراحل السابقة تتم ضمن اطار الأسرة وتحت الاشراف المباشر للوالدين فان الطفل يصبح فى ومواجهة ظواهر جديدة وغريبة فى بعض الأحيان أين يتجلى دور الوالدين جد صعب وعملية الضبط الاجتماعى والمراقبة تبدو معقدة وشائكة وبوادر الانحراف تبدا فى البروز والظهور.

●**مرحلة الاعتماد المتبادل:** وتبدأ بدخول الطفل سن المراهقة حيث يرغم الوالدان على تغيير سلوكاتهما فى معاملته وخاصة فى مجال ممارسة السلطة، لأن الطفل يصبح شريكا يتقاسم مع والديه الرأى واتخاذ القرار فى حياة الأسرة مع ابراز بصورة قوية للأستقلاليته فيما يتعلق بجوانب الحياة الخاصة به مثل : اللباس واللعب واختيار الأصدقاء. وهنا تبدأ الاختلافات والصراعات التى قد تفتح الباب للأنحراف.

●**مرحلة الرشد والانفصال:** مع بداية ظهور المشاريع والاختيارات الفردية فى الجانب الدراسى والمهنى والاجتماعى تتراجع سلطة الوالدين ورعايتهم واهتماههم بالطفل على اعتبار أنه اصبح قادرا على ضمان استقلاليته فى الرعاية واتخاذ القرار، وأمام هذا الوضع يعجز الوالدان على متابعة ومراقبة الابن، ويلعب الرصيد التربوى والأخلاقى الذى قدمه الوالدان عبر المعاملة فى المراحل السابقة دورا كبيرا فى بناء شخصية سوية لأنه من الصعب استدراك الأمر وحماية الأبن من الانحراف .

### د– أنماط المعاملة الوالدية :

هناك عدة نماذج قدمها الباحثون كأنماط للمعاملة الوالدية نذكر منها :

1/ نموذج" سيموندس" Seymonds ، حيث اعتمد على مدى تقبل الطفل من الوالد أو الوالدة أو رفضه وفق معادلة التقبل/ الرفض من جهة واعتماد أسلوب السيطرة والتحكم مقابل الخضوع لمطالب الطفل من قبل الوالدين من جهة ثانية.

2/ نموذج تشانس: وهنا تم تقسيم المعاملة الوالدية الى سلبية أو ايجابية فى عملية التربية وكذلك التمييز بين المعاملة الوالدية التى من شأنها بعث النشاط والحيوية لدى الطفل والمعاملة الوالدية المنتجة للخمول والاتكالية.( هالة الخريبى 2003.218)

- 3/ نموذج شيفر Schaeffer وبيكر becker : أين تم اعتماد ألأبعاد الأتية فى المعاملة الوالدية وهي:
  - الاستقلالية/ الضبط.
  - الحب / العداء.

ووفق هذا النموذج ركزت الملاحظات على المعاملة الوالدية المشجعة للستقلالية على الرقابة والصبط من جهة والمعاملة الوالدية المتسمة بالدفء والحنان على النفور والعداء.

4/ نموذج اتجاهات الوالدين فى المعاملة: اعتمد اسلوب أكثر شمولية ودقة بالاشارة الى مجموعة من المؤشرات لقياس وملاحظة المعاملة الوالدية من خلال بعض السلوكات المتكررة والمتداولة وأهمها:

- التسلط.
- الحماية الزائدة.
- الاهمال.
- التدليل.
- التساهل.
- القسوة.
- اثارة الألم النفسى.
- التفرقة.
- التذبذب.
- السواء.

هذا النموذج الذى قدمه اسماعيل محمد عماد الدين ومجموعة من الباحثين يجمع بين كل النماذج السابق ذكرها وبعد الدراسةأضاف عنصرين اخرين وهما:

- القبول/الرفض.
- الضبط/الاستقلالية.( اسماعيل محمد عماد الدين.1974.57)

## 6- النظريات المفسرة للمعاملة الوالدية وانحراف الأحداث:

- يرجع كثير من المختصين فى العلوم التربوية والنفسية أسباب الاضطرابات السلوكية والنفسية للأطفال الى علاقة الطفل بوالديه وفى المقام الأول الأم(خولة أحمد يحى.2003.33) كما أن الاطفال ذوى الاضطرابات السلوكية يعانون من عدم اتساق وتماسك فى علاقتهم مع والديهم ومن أمثلة ذلك ضرب الأطفال واهمالهم وعدم مراقبتهم.

فى الفترة مابين 1910-1930 نظر السلوكيون وفى مقدمتهم "واطسون" الى أن الطفل قابل للتشكيل عن طريق الاشراط، و لم يعيروا الاهتمام لحاجات الطفل وشعوره بل ركزوا على العوامل البيئية ودورها فى اكسابه مانريد وأن نكبح من السلوك مانريد وذلك عن طريق التعزيز والاثابة أو العقاب.( زكرياء الشربينى.2003.23). ثم أخذت التنشئة الاجتماعية اتجاها اخر مبنى على التسامح تحت تأثير التحليل النفسى مع التركيز على دور العاطفة وتجنب الحرمان العاطفى فى المعاملة، فى حين أكد" ماسلو" و"روجرز" اتجاها انسانيا أكثر مرونة وتسامح استنادا الى أن الأطفال يولدون بدافع فطرى للتعلم فى اطار بيئة مناسبة يشعرون فيها بالحرية ويكون التعامل معهم

مبنى على التفاهم. كما وضع "سبوك" فى الستينات من القرن الماضى مجموعة من المبادئ فى معاملة الوالدين للأبناء نلخصها فى: (زكرياء الشربينى.2003.24)

- تجنب التسامح والتدليل الكامل.
- الدفء والحنان فى معاملة الأبناء.
- تجنب القسوة فى المعاملة.
- ابراز السلطة الأبوية دون التسلط.
- الرعاية والاهتمام دون الاهمال.

وأضاف "ج.بولبى" و"ر.سبيتز" ضرورة الارتباط الوثيق بين الأم والطفل مع ابراز كل اشكال الانقصال والغياب لأنه يؤثر فى نمو الطفل نموا سويا ويمهد لشخصية غير اجتماعية وانحرافية. (أحمد الشريفين .126) ويمكننا ادراج أهم نظريات المعاملة الوالدية فيمايلى :

1/ نظرية التعلق: ج. بولبى،(باولبى جون 1965.577) التى ترجع كثير من السلوكات السوية والغير سوية لدى الأطفال الى نجاح أو فشل عملية التعلق بالوالدين وخاصة الأم فى مرحلة الطفولة.

2/ نظرية التحليل النفسى، التى ترجع الانحراف الى صعق القدرة على التحكم فى الدوافع نتيجة أسلوب الغقاب والمعاملة الوالدية.(حمزة مختار ص5)

● 3/ النظرية السلوكية التى اعتمدت مبدأ التعلم المبنى على الاساليب السلوكية المقبولة اجتماعيا من الوالدين، اذ يرى "سكينر" أن الابن يميل الى تكرار السلوك الذى قوبل بالرضا واجتناب السلوك المرغوب عنه بناء على أنماط الثواب والعقاب التى يمارسها الوالدين خلال المعاملة.( الشربينى.31)

4/نظرية الدور الاجتماعى التى ترى بان تعلم واكتساب الدور بالنسبة للطفل يتم من خلال المعاملة الوالدية، ففى حالة اضطراب الدور أو عدم امكانية تحقيقه تطرح له صعوبات فى التكيف.

5/نظرية التعلم الاجتماعى: ان التنشئة الاجتماعية للطفل ومعالته تسهم لافى ثقافة الطفل وتدريبه على السلوك المقبول، كما أن المواقف الاجتماعية تتيح له ملاحظة طريقة السلوك وتقييم نتائجه وحقل هاته التجارب يتم ضمن المعاملة الوالدية.

**7- الجانب المنهجى للدراسة:**

**إن فرضيتنا الرئيسية تتمحور بين مفهوم المعاملة الوالدية كمتغير مستقل والسلوكات الانحرافية كمتغير تابع.**

**وحتى نعطى إمكانية الملاحظة العلمية والميدانية لموضوع دراستنا تم اختيار مجموعة من المؤشرات الإجرائية.**

**1 : مؤشرات المعاملةالوالدية :**

- **الرعاية والاهتمام الوالدى بالحدث كمرحلة أولى حيث ركزنا على السلوكات الآتية:**
  - **الرعاية الصحية والجسدية.**
  - **الرعايةوالمتابعةالمدرسية فى معاملة الحدث.**
- **الاتصال الوالدى بالحدث وعلاقته بانحرافه:**
  - **حجم الاتصال الوالدى بالحدث.**
  - **مصمون الاتصال الوالدى بالحدث.**
  - **نتائج الاتصال الوالدى بالحدث.**

- **تمييز وتفرقة الوالدين بين الأبناء وأثره على انحراف الحدث:**
  - **التمييز فى الرعاية والاهتمام.**
  - **التمييز فى الاتصال .**
  - **التمييز فى المكافأة.**

- **القسوة والتسلط فى معاملة الوالدين للحدث وعلاقته بانحرافه:**
  - **الحرمان الممارس من طرف الوالدين بجميع اشكاله.**
  - **التدخل والرقابة من قبل الوالدين.**
  - **العقاب اللفظى والجسدى للوالدين على الحدث.**

2 : مؤشرات انحراف الأحداث

- الفرار من البيت والتشرد.
- العدوان واشكال العنف المختلفة
- السرقة.
- تعاطى استهلاك بعض المواد والادمان... الخ.
- الانخراط فى جماعات انحرافية

- ومن خلال الدراسة الميدانية التى قمنا بها مابين سنة 2013-2016 مع أحداث منحرفين مدينة قسنطينة ووالديهم وعددهم 47 وفق عينة قصدية اعتمادا على عنصرين اساسيين وهما:
  - **تواجد الوالدين مع الحدث لمدة ثابتة نسبيا.**
  - **اختيار والدين لديهم أكثر من طفل.**

تم استعمال المنهج الوصفي التحليلي بالاستناد الى الأدوات المنهجية التالية:

1/ الملاحظة وتمت أثناء لقاءاتنا المتكررة مع الأحداث والديهم.

2/ المقابلة وتمت اثاء تطبيقنا للأستبيان مع الوالدين.

3/ استبيان مع والدى الحدث وتصمن 74 سؤالا مقسمين وفق محاور تترجم فرضيات بحثنا.كما يلى:

- **بيانات شخصية عن الوالدين.**
- **بيانات خاصة بالرعاية والاهتمام.**
- **بيانات خاصة بالتصال اڤالدى بالحدث.**
- **بيانات خاصة بالتمييز فى المعاملة الوالدية.**
- **بيانات خاصة بقسوة وتسلط الوالدين فى معاملة الحدث'**

هذا وتوصلنا الى نتائج الدراسة والتي يمكن تلخيصها كما يلي:

**ا/ الرعاية والاهتمام:**

ان للرعاية والاهتمام الوالدى بالحدث دور كبير فى تجنب السلوك الانحرافى لدى الحدث والمقصود بالرعاية فى دراستنا هذه كل ما تعلق بالجوانب الصحية والجسدية والمدرسية للحدث ولقد وقفنا من خلال الدراسة الميدانية على الملاحظات الاتية:

ان نسبة 23.4% من الوالدين يصرحون بأنهم لايلبون كل احتياجات الحدث وفق المجالات الآتية:

- 14% لايهتمون بالحالة الصحية للحدث.
- 31% لايتدخلون لحماية الحدث.
- 42% لايتسألون عن الحدث عندما يتأخر عن الدخول الى البيت.
- 46% لايحرصون على الوجبات الغذائية للحدث.
- 63.8% لايتناولون وجباتهم الغذائية مع الحدث.
- 29.8% لاتابعون دراسة الحدث.

● 34 % لايذهبون الى المدرسة ولايلبون استدعاءات المدرسة.ولايوفرون جو مناسب للحدث للقيام بواجباته المدرسية. ووسط هاهه البئة الوالدية يعتقد 21.4% من الوالدين المبحوثين ان انحراف الحدث يرجع الى الرعاية والاهتمام بالحدث.

**ب/الاتصال الوالدى وانحراف الحدث:**

والمقصود بالاتصال فى دراستنا هو كل أشكال تفاعل الوالدين مع الحدث وما ينجم عنه من عناصر تربوية وعاطفية شكلا ومضمونا ولقد أعطتنا الدراسة الميدانية الملاحظات الآتية:

42.20%من الآباء و17% من الأمهات لايتصلون اطلاقا مع الحدث كما نجد 12.8% من بين الوالدين الذين لهم اتصالا مع الحدث ان هذا الاتصال ليس باستمرار بل نادرا. فى حين يتمحور الاتصال فى تقديم التوجيهات (61.7%)و23.4% فى الاستفسارات عن سلوكات الحدث أما14.9% منهم لاتتعدى الاجابة عن تساؤلات الحدث.

● وخلال عملية الاتصال نجد نسبة 48.9% من الوالدين لا يستمعون الى اهتمامات الحدث و47.70% لايتقبلون ولا يحترمون اراء الحدث فى حين كثيرا ما تنهى عملية الاتصال بااختلافات مع الحدث 36.2% والغضب 42.6% ثم العنف ب31.9% . وغالبا ماتكون ردود أفعال الحدث بالفرار من البيت 76.6% والعدوانية 14.9%.

**ج/ التمييز فى المعاملة الوالدية وانحراف الحدث:**

المقصود بالتمييز فى العاملة الوالدية هى كل ألأفعال والأقوال الصادرة عن الوالدين والتى من شأنها التفرقة والتفضيل ( الشعورية واللاشعورية) بين الأبناء والاستجابات الانحرافة للحدث.

ان الأحداث المنحرفين فى الدراسة موزعين بين الأوسط والأصغر فى ترتيب الأبناء.

وتتوزع عملية التمييز فى المعاملة بين 46.8% عند الأباء و53.20% عند الأمهات ويلعب كل من الجنس 42.6% والسن 53.30% دورا مهما فى عملية التمييز ويتجسد هذا التمييز أثناء المشاجرة بين الاخوة 57.4% واعطاء المصروف ب61.7% اصطحاب ومرافقة الحدث خلال الخرجات الوالدية 85.1% والعقاب ب 83%. وتكون استجابات الحدث ازاء التمييزبمختلف أشكاله الغيرة 58.5 %الغضب 14.6% العنف والعدوانية 12.2% والفرار من البيت ةاللجوء الى الشارع ب 14.60%.

**د/قسوة وتسلط الوالدين وانحراف الحدث:**

و فى مجال قسوة الوالدين وتسلطهمافى معاملة الحدث أثرهما على انحرافه لاحظناالمعطيات الآتية :

- – أن 42.6% من الوالدين يتدخلون فى اختيارات الحدث.

– 51.10% من الوالدين يمنعونه من الخروج واللعب أثناء أوقات الفراغ.

–23% من الوالدين يراقبون باستمرار كل تصرفات الحدث وحركاته.

–21.3% من الوالدين من يحرمونه من مشاهدة التلفاز.

–66.6% من الوالدين يتدخلون فى الاختيارات الدراسية للحدث.

أما فى ما يتعلق بمعاقبة الحدث فاننا نجد 70.2% من الأباء و51.10% من الأمهات يمارسون عقاب الحدث بأشكال مختلفة24.1% بالصرب والعقاب الجسدى 48.4% بأنواع مختلفة من الحرمان و17.20% بالشتم والتوبيخ وكل أنواع العنف اللفظى.

أما بالنسبة للأساليب المتبعة من طرف الوالدين بالعقاب فقد أبرزت الدراسة الميدانية أن 28.6% يستعملون العصا أو أداة أخرى 71.4% يعاقبون الحدث ياليد أو بالرجل.

وعلى اثر ذلك تكون استجابات الحدث موزعة بين الغضب 39.5%' كسر الأشياء والعنف 28.9% واخيرا الفرار من هذا الجو الغير امن بنسبة 31.6%.

**خاتمة:**

من خلال دراستنا توصلنا الى أن المعاملة الوالدية تعتبر المحور الرئيسى لعملية التنشئة الاجتماعى والتطبيع الاجتماعى وعلى ضوء المعطيات النظرية والميدانية تبين لنا محدودية الدراسات العاملية فى تفسير ظاهرة انحراف الأحداث.

ومن قراءتنا للمعطيات الميدانية استنتجنا أن الأطفال المنحرفون يتعرضون الى معاملة والدية صعبة ومظطربة وعليه يمكن ترتيب الجوانب الأساسية للمعاملة الوالدية حسب أهميتها على النحو آتى:

- **الاتصال والتفاعل مع الحدث.**
- **القسوة والتسلط فى المعاملة الوالدية للحدث.**
- **الرعاية والاهتمام بالحدث.**
- **التمييز فى معاملة الحدث.**

وعلى ضوء كل هذا نرى أن الاهتمام بالوالدين وتزويدهم بالأساليب التربوية والايجابية فى معاملة ابنائهم له دور كبير فى الوقاية من انحراف الأبناء.

فهرس المراجـــع والهوامش:

1. هدى قناوى "الطفل تنشءته وحاجاته" ط2 .مكتبة الانجلو مصرية. القاهرة 1988 ص8
2. علاء الدين كفانى" تقدير الذات فى علاقته بالتنشئة الوالديةو المن النفسي" المجلة العربية للعلوم الانسانية. العدد35. الجزء التاسع .مصر
3. محمد خالد الطحان" التفوق العقلى من حيث علاقته باتجاهات الوالدين فى التنشئة ومستواها الثقافى"دكتوراه. كلية التربية. جامعة عين الشمس 1977 ص127.
4. أحمد الفيومى" المصباح المنير" النورس، بيروت 1952 ص586
5. عبد السلام هارون واخرون "الرياضة والصحة النفسية" الجامعة الأردنية 1996 ص624
6. ميشيل دبابنة "سيكولوجية الطفولة" دار المستقبل للنشر والتوزيع، عمان 1984.
7. محمد عما الدين اسماعيل " الطفال مرآة المجتمع" سلسلة الكتب الثقافية، الفنون والآداب، الكويت 1986 ص12
8. حمزة محمد مختار " بعض أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء" مجلة العلوم التربوية، العدد 3، مصر 2005 ص215
9. أحمد الصليفيح (1986) معالجة الشرسيعة الاسلامية لمشاكل انحراف الأحداث . دار النشر بالمركز العربى.
10. أحمد بيومى وعفاف عبد الحليم. (2005)علم الاجتماع العائلى.دار المعرفة الجامعية. مصر.
11. خيرى خليل الجميلى (1993) الاتجاهات المعاصرة فى دراسة الأسرة والطفولة. المكتب الجامعى الحديث. مصر.
12. داليا مومن (2004) الأسرة والعلاج الأسرى. دار الشهاب للنشر . القاهرة.
13. نور رياض عبد الرحيم، عبد العزيز عبد القادر المغيصب (1991) بناء مقياس المعاملة الوالدية لطلبة المدارس الثانوية والجامعات كما يدركها البناء في المجتمع القطري، حوليات كلية التربية، السنة الثامنة، العدد (8)، 329-397.
14. أي جيري فيرز ( د.ت) نظرية التعلم الاجتماعي، دار القلم الكويت.
15. باولبي جون (1959) رعاية الحب وتطور الطفل، ترجمة السيد خيري وآخرون، دار المعرف، القاهرة.
16. باولبي جون (1965) رعاية الطفل ونمو المحبة، ترجمة عبد العزيز أبو النور، حامد عمار، سلسلة الألف كتاب (رقم 577)، مؤسسة كل العرب، الكويت.
17. باولبي جون (1991) سيكولوجية الانفصال، ترجمة عبد الهادي عبد الرحمن، دار الطليعة، بيروت.
18. بشير الرّشيدي وطلعت منصور (2000) الاضطرابات النفسية في الطفولة والمراهقة، سلسلة تشخيص الاضطرابات
19. النفسية، المجلد الثامن، مكتبة الإنماء الاجتماعية، الكويت.
20. Laurent muchielli « sociologie de la délinquence » armand colin . paris. 2014.
21. Rey caroline , Maltraitance des enfants et adolescents. Paris 2001 p11
22. Paul durning , éducation familiale. P.U.F . France 1995 p16»